محاضرات مقياس المقاربات الكمية والكيفية

سنة أولى ماستر الاتصال الجماهيري والوسائط الجديدة

المحاضرة الأولى: مدخل عام للمقاربة الكيفية (المفهوم)

ما الذي نقصده بالبحث المنهجي؟

البحث منهجيا وعلميا **research** يعني أن نبحث ثم نبحث مرة ثانية، على نحو أعمق وأفضل، هذا هو الفرق بين يفتش **search** ويبحث **re-search**.

كل طرائق البحث مقبولة، بل وعلمية، حين تكون:

1-منهجية: بمعنى موضوعية، منظمة، منسقة، نزيهة، مستقلة عن إرادة الباحث ورغباته.

2-حين يمكن التحقق من نتائجها، على نحو مباشر أو غير مباشر، إما منطقيا (كما في العلوم الرياضية)، أو وضعيا (كما في العلوم التجريبية والكثير من العلوم الاجتماعية).

نتائج البحث المنهجي تكون " علمية "، بمعزل عن تأكيدها للفرضيات التي بدأنا بها البحث، أو دحضها لها، لا فرق، لأن علمية النتائج شيء وصدقيتها شيء آخر. هي **علمية** إذا كانت الخطوات التي اتبعناها منهجية وموضوعية، أما صدقيتها فشيء آخر كليا.

المعيار الحاسم هنا هو خطوة " التحقق من النتائج " التي كنا بلغناها في آخر البحث، هي وحدها ما يؤكد الفرضية التي بدأ البحث بها أو كانت الغاية منه، أو يدحضها.

كيف نبحث؟ تصميم البحث المنهجي:

يتقدم البحث المنهجي باختصار، كما في الخطوات التالي ذكرها:

1-تحديد المشكلة: ملاحظة ظاهرة أو مشكلة تثير فكرة ما.

2-التفكير في تفسير محتمل.

3-إخضاع التفسير لاستكشاف أولي، وذلك لمزيد من المراقبة والمراجعة، إذا تبين أنه منطقي وقابل للبحث، يتحول إلى فرضية برسم البحث.

4-وضع خطة لجمع المعطيات من خلال الأدوات والتقنيات المناسبة.

5-جمع المعطيات وحفظها بطريقة منهجية ذات صدقية.

6-تحليل المعطيات المجتمعة بطرائق عدة.

7-التحقق من الفرضية أو التفسير المقترح على محك المعطيات ونتائجها.

8-استخلاص النتائج، تأكيد الفرضية أو دحضها.

9-التحقق من صدقية النتيجة.

10-كتابة تقرير بالنتائج.

(مع الانتباه أن لكل خطوة شروطها الخاصة بها)

المنهجيات والبحوث الكيفية

عند الحديث عن المنهجيات المعتمدة في الأبحاث والدراسات المختلفة، نتوقف عند ثنائية المناهج الكمية والمناهج الكيفية، فالأولى الأساس فيها هو الكم (الرقم)، والأساس في الثانية هو النوع (الكيف).

المناهج الكيفية مجال بحثي جديد تقريبا، انطلق ببطيء في النصف الثاني من القرن العشرين، ثم تسارع تطوره في العقود الثلاثة الأخيرة، فبات له أدبياته، ومجالاته العلمية وحتى باحثين قائمين عليه، مع العلم أن الأدوات البحثية المستعملة في المناهج الكيفية لم تستقر بعد، وهناك كلام مستمر حول أدوات وتقنيات جديدة تستخدم في المناهج الكيفية.

أما الحقول التي تستخدم المناهج الكيفية كليا أو جزئيا فكثيرة، منها بعض مجالات علم النفس (التحليل النفسي خصوصا)، الأنثروبولوجيا، الإثنولوجيا، العمل الاجتماعي، الفنون، علم الأخلاق...وكل حقل لا يمكن قياس أو تكميم ظواهره وموضوعاته، وبالتالي أنواع المناهج الكيفية كثيرة، متشعبة وأحيانا غير محددة بدقة، وهي تزداد تشعبا، نظرا للدور الذي يلعبه الفرد الذي يقوم بالبحث الكيفي.

فالمنهج الكيفي، يستخدم عادة **لمعرفة الخصائص الأساسية والضرورية للظواهر الاجتماعية والنفسية**، ويرتبط المنهج الكيفي باستخدام المنهج الإثنوغرافي ومنهج دراسة الحالة والمقابلات العميقة والملاحظة. والمنهج الكيفي قائم على الاستقراء **induction**، ويهتم بالظواهر بصفة أكثر، ويعتبر أكثر شمولية وذا صبغة ذاتية **subjective**، وموجه بخطوات معينة، وله نظرة أنثربولوجية نحو العالم.

ويصور المنهج الكيفي العالم على أنه شديد التعقيد، والحقائق فيه دائمة التغير ومكونة من أبعاد متعددة من التصورات والمعاني، التي تتأثر بشدة بالتفاعل بين السياق البيئي والتفاعل الذاتي للأشخاص.

أما عن الأدوات الشائع استخدامها في هذا المنهج، هي الملاحظة بأنواعها، المقابلة، دراسة الحالة، التراث النظري...

إذن، يقع المنهج الكيفي **Qualitave Method**، عموما في إطار المنهج التحليلي **The Analytical Method**، المتسم بالعمومية والشمولية، على اعتبار أنه يمكننا القول بوجود تحليل كيفي وآخر كمي.

البحث الكيفي: في التعريف البسيط هو أي استخدام حسن التصميم لأدوات وتقنيات بحث غير كمية أو رقمية، في مقاربة ظاهرة أو موضوع اجتماعي أو إنساني، باعتماد أدوات جمع البيانات المناسبة.

إذن مصطلح البحوث الكيفية **مصطلح شامل** يحتوي على أنماط مختلفة من البحوث في علم الاجتماع منها البحوث الإثنوغرافية، دراسة الحالة، والبحوث الميدانية، والبحوث الطبيعية التي تجرى في مجال طبيعي، وبحوث الملاحظة بالمشاركة، وتختلف هذه البحوث عن بعضها البعض في أسسها الفلسفية والتحليلية.

فالبحوث الكيفية تؤمن بأن **السلوك الإنساني مرتبط دائما بالسياق الذي حدث فيه**، وأن الواقع الاجتماعي (مثل الثقافات، الموضوعات الثقافية، والمؤسسات...) لا يمكن خفضه إلى مجموعة من المتغيرات بنفس الأسلوب الذي يحدث في الواقع الطبيعي.

وعلى وجه الإجمال فإن التصميم الأولي للبحث الكيفي يتقدم عموما وفق الترتيب التالي:

- ✓ مراجعة أدبيات المشكلة موضوع البحث.
- ✓ تعيين الإطار النظري للبحث.
- ✓ تحديد فرضيات البحث بعد جولة استكشافية عنه.
- ✓ اختيار خطة البحث، وتحديدا تقنيات جمع المعطيات بحسب المادة والموضوع والحالة.
- ✓ تحليل المعطيات المجمعة.
- ✓ مقارنة النتائج مع الفرضيات إن وجدت (التأكيد أو التكذيب).
- ✓ التحقق من النتائج.

بالتوفيق للجميع